

## القيم الأخلاقية بين التراث الإسلامي والفلسفة الحديثة والمعاصرة

فطوم موقاري

جامعة الجزائر1

fettoumm@yahoo.f

تاريخ الوصول: 13 / 12 / 2017؛ القبول: 02/01/2019 / النشر على الخط: 05/01/2019

Received : ..... Accepted : ..... Published online : .....

### ملخص

تكمن أهمية الأخلاق في كونها الركن الأساسي في قيام وسقوط الحضارات، وإذا كنا لحد الساعة مازلنا نبحث في موضوع القيم الأخلاقية يعني أننا في إشكال من خلال عزوفنا على مسلمات ثابتة ومعتقدات راسخة، حيث كان لهذا الإشكال بدايات وبقيت متواصلة ليومنا هذا، حيث يقول فولتير: " لا توجد إلا أخلاق واحدة، كما لا يوجد إلا علمٌ هندسي واحد". غير أن المأزق الذي يقع فيه الإنسان خاصة المسلم اليوم هو تأثره بالمنظومة والحضارة الغربية التي بنى منظومتها الأخلاقية مجموعة من الفلاسفة اليونانيين أمثال أرسطو وأفلاطون ومن جاء بعدهم حيث اتخذوا في الأول من الدين والعقل ثم العقل والتجربة كمصدر لبناء منظومتهم الأخلاقية، فيا ترى ما مدى تثبت المسلم اليوم بقيمه الأخلاقية في ظل ضعفه وتراجع أمام المأزق الأخلاقي العالمي الذي تفرضه أخلاق الحداثة المعاصرة؟

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، القيم الأخلاقية، الدين، المسؤولية الأخلاقية، الحداثة، التراث.

### Ethical values between Islamic heritage and modern and contemporary philosophy

#### Abstract :

The importance of morality lies in its being the cornerstone of the rise and fall of civilizations, If so far, we are still looking at moral values, Means that we are in trouble through our reluctance on fixed Muslims and firm beliefs, This was the beginning of the problem and continued to this day, Voltaire says: "There is only one ethic, and there is only one geometrical science." However, the impasse in which Man, especially the Muslim, is today is their influence on the Western system and civilization, Whose moral system was built by a group of Greek philosophers such as Aristotle, Plato and those who came after them, Where they took the first of religion and reason then reason and experience as a source to build their moral system, to what extent does the Muslim today prove his moral values in light of his weakness

and his decline in the face of the global moral impasse imposed by the morality of modern modernity?

**Mots clefs :** Ethics, moral values, religion, moral responsibility, modernity, heritage.

## مقدمة:

إن الإنسان هو الأصل في قيام الحضارات وسقوطها بمكوناته العقدية الفلسفية ودوافعه السلوكية وقيمه الأخلاقية، انبهر المسلم بالحضارة الغربية التي تبدو في ظاهرها مزدهرة ولكن من خلال دراسة فلسفتها الأخلاقية تظهر المخاطر التي تهدد العالم، إذ أصبح التقدم التكنولوجي خطراً يهدد العالم، لأن العلم بغير ضوابط أخلاقية تصبح آثاره المدمرة أكثر من فوائده، مثلاً الثورة البيولوجية والتهديدات بالحروب النووية وغيرها، فالقيم الأخلاقية عند المسلمين بقيت ثابتة لأن أصولها لم تتغير ولم تتبدل على العكس من تبدل هم المسلمون ذاتهم ليتماشوا مع كل مرحلة، من أهم المظاهر: حلت القوانين الوضعية محل الشريعة، وفي مجال التربية والتعليم أصبحت العلوم الإسلامية منفصلة عن العلوم الأخرى، وفي مجال الاقتصاد أصبح الربا ومعاملاته أسلوباً شائعاً وأصدرت له القوانين تحله جهاراً، إلى غير ذلك من المظاهر كالغش والتدليس وانعدام الأمانة بين الناس وبالتالي انعدمت الثقة بين أفراد المجتمع، والاستهانة بالعهد وصلة الأرحام وسوء العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم، والقدرة على قلب الحقائق. عكس الحضارة الغربية التي تبدل قيمها الأخلاقية وسلوكياتها كلما انتقلت من مرحلة إلى أخرى مثل انتقالها من النفعية إلى الوضعية العلمية فالماركسية والوجودية وبعدها المثالية، وهذا يرجع إلى كون مصادرها الأخلاقية غير ثابتة.

## 1- القيم الأخلاقية في التراث العربي الإسلامي:

أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق، لذا وضع الإسلام قواعد أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل، بهذا كانت رسالة الإسلام رحمة للعالمين. "لقد حدد الإسلام القيم الأخلاقية السليمة والفضائل النبيلة التي يجب على أي فرد أو جماعة أو مجتمع الالتزام بها، وبعد هذا الهدى المحدد للقيم الأخلاقية يصبح واجب المفكرين والمصلحين الاجتهاد في شرح وتفصيل تلك القواعد

ودعوة الناس إلى الالتزام بما شرعه الله تعالى لعباده وبما جاء في سيرة النبي الكريم<sup>1</sup> لقد كشفت الحضارة الإسلامية في سيرتها الأولى وما تلاها اتكائها على الأخلاق والقيم والمثل النبيلة، بالتالي فالدين الإسلامي في جعبته الحلول الناجعة للمشكلات الأخلاقية الفردية والجماعية والعالمية على السواء.

فيا ترى ما مصدر هذه القيم الأخلاقية في الإسلام؟

تدرج مصادر القيم الأخلاقية في الإسلام بدءاً بالقرآن الكريم فالسنة النبوية

- الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية:

لقد تربى المسلمون الأولون على الأخلاق الإسلامية فكانت قلوبهم نظيفة يملؤها الإيمان وأيديهم طاهرة، فلما فتحت لهم البلاد وخضع لهم العباد لم يأخذهم الغرور، ولم تلههم الدنيا عن الآخرة، ولم يخرجوا عن طاعة الله، بل حفظوا الأمانة وأحسنوا القيادة وسهروا لمصلحة الرعية وكانوا قدوة في تاريخ البشرية. خلق الله الإنسان وهو يعلم ما يصلح له في دنياه وآخريته، والإسلام يجعل حسن الخلق في قمة الأهداف التي ينبغي أن يتنافس فيها الأفراد، ويجعل حسن الخلق لذاته درجة دينية ترفع قدر صاحبها عند الله. يقول تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"<sup>2</sup>، من خلال هذه الآية يتضح أن القرآن الكريم وضع فلسفة تعمل على إصلاح المجتمع وتقويمه مبنية على قاعدتين هما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه إذا أردنا السمو بمستوى الشعوب والأمم، لا بد من البدء بالأخلاق أول شيء يعلو بنا إلى الغاية المنشودة.

إن القرآن الكريم هو دستور الأخلاق الذي تميز عن الكتب والرسالات السابقة "بذلك الامتداد الرحب الذي ضم فيه جوهر القانون الأخلاقي كله، وهو الذي ظل متفرقا في تعاليم القديسين والحكماء، من المؤسسين والمصلحين، الذين تباعد بعضهم عن بعض، زمانا ومكانا، وربما لم يترك بعضهم أثرا من بعده

1- موزه، راشد العبار: القيم الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والغربي في عصر العولمة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الجزيرة، ط1، 2008، ص 117.

2- سورة آل عمران، 110.

يحفظ تعاليمه"<sup>1</sup>. وقد تولى القرآن الكريم حفظ القانون الأخلاقي الذي جاء في التوراة، حيث وردت عبارة عن آيات متفرقة في عدد من السور.

أما في السنة النبوية فمن يطلع على أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، سيجد أن أخلاقه كلها مستقاة من الدين ومبادئه، فقد كان أعظم نموذج أخلاقي يحتذى به، قبل بعثته كان يلقب بالصادق الأمين "فالصادق لا يكذب، والأمين لا يخون. وما أدراك ما الصدق والأمانة؟ وما أدراك ما الكذب والخيانة؟ أما الصدق والأمانة، فيمكن أن يحيي أمة وليس فرداً، وكذلك الكذب والخيانة يمكن أن يدمر أمة وليس أمة"<sup>2</sup>، كما أن عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "كان خلقه القرآن". وأيضاً من أخلاق صحابته عليه السلام هذا خليفته أبو بكر رضي الله عنه يقول ليزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - قبيل خروجه لفتح الشام: «إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرمًا، ولا تقطعن شجراً مثمرًا، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا للمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تعرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن»<sup>3</sup>. وهي الوصايا التي تكشف الهوة الأخلاقية - عند المقارنة - بين ما قام به الفاتحون المسلمون وما قامت به الدول الاستعمارية الغازية في العصر الحديث ولا تزال. وبالتالي لنا الفخر نحن معشر المسلمين وكل من اهتدى بهدي وسنة النبي الأمين لأنها من قبل الوحي الإلهي، وهو الأسوة الكاملة في تحقيق السعادة للإنسان.

إن الأخلاق من خلال المنظور الإسلامي هي عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الناس وتحديد علاقته بخالقه وبغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه، لنخلص أن الدين بأصليه القرآن والسنة كانا سنداً قوياً وأساساً متيناً يستقى منه المفكر الإسلامي كل أصالة أخلاقية.

بعد أن عرضنا الأخلاق في القرآن والسنة نحاول عرضها عند بعض الفلاسفة المسلمين.

- 1- محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث، بيروت، ص8.
- 2- موزة أحمد راشد العبار، المرجع السابق، ص 125.
- 3- موطأ الإمام مالك، رواية يحيى الليثي (965). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

## -الأخلاق عند بعض الفلاسفة المسلمين:

لقد كان للفكر اليوناني تأثير تجاوز حدود الثقافة الإسلامية ليمتد للعقائد الإسلامية، فظهر مجموعة من العلماء بحثوا في هذا المجال لكن على أي أساس؟ على أساس فلسفي نظري، أو بحث مرتبط بالدين أكثر من التفكير العقلي.

وقد تطرق لهذا التصنيف الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه تاريخ الأخلاق<sup>1</sup>:

- " اتجه يعنى بالأخلاق العملية المستقاة من القرآن والسنة ويمثل هذا الاتجاه: الحسن البصري والماوردي صاحب كتاب آداب الدنيا والدين.

- اتجه غلبت عليه النزعة الدينية والصوفية واختلط بكثير من النظر الفلسفي، ويمثل هذا الاتجاه أبو حامد الغزالي في كتابه: إحياء علوم الدين وميزان العمل.

- اتجاه بنى نظرياته على أسس فلسفية متأثرا بالفلسفة اليونانية، ويمثل هذا الاتجاه الكندي والفارابي، وابن سينا، وإخوان الصفا، وابن مسكويه، وابن الطفيل وابن رشد".<sup>2</sup>

يعتبر مسكويه من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين كان لهم الفضل الكبير في المساهمة في تحليل الفكر الأخلاقي الإسلامي، بل إنه "يوصف بأنه أكبر باحث عربي في الأخلاق، وتعد فلسفته الأخلاقية عبارة عن مزيج من آراء أفلاطون وأرسطو وجالينوس، فضلا عن الشريعة الإسلامية وتجاربه الشخصية".<sup>3</sup> له كتاب عنوانه "تهذيب الأخلاق" شرح فيه اهتمامه بالأخلاق قائلا: " أن نحصل لأنفسنا خلقا تصدر به

1- صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام 1940، اهتم فيه المؤلف بفلاسفة الإسلام: الكندي، الفارابي، ابن سينا، ابن ماجة وابن طفيل دون أن ينسى ابن مسكويه والغزالي وابن عربي معرفا بهم عارضا نتفا من آرائهم في الأخلاق: من كتاب العقل الأخلاقي للجايري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ص 09.

<sup>2</sup> - يوسف موسى محمد تاريخ الأخلاق، مطابع دار الكتاب، مصر، ط3، 1953، ص 164.

<sup>3</sup> - أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1992، ص 310.

عنا الأفعال كلها جميلة، وتكون مع ذلك سهلة علينا، لا كلفة فيها ولا مشقة، ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي<sup>1</sup> بهذا يكون جعل للسعادة جانبان هما: السعادة الأخلاقية والسعادة القصوى وهما جانبان متكاملان ومرتبطان بالفضائل.

على الرغم من التأثير الذي تأثره كل من الفارابي ومسكويه بآراء غيرهم من الفلاسفة اليونانيين، وخاصة أفلاطون وأرسطو، إلا أنهم قد أضافوا لهذه الآراء الكثير من الأبعاد الدينية الإسلامية.

## 2- القيم الأخلاقية في الفلسفة الحديثة والمعاصرة:

على رغم إنجازات وإسهامات كل من فلاسفة اليونان والفلاسفة المسلمين، غير أن البحث بقي متواصلا في موضوع القيم الأخلاقية من طرف فلاسفة العصر الحديث والمعاصر الذين بدورهم كان لهم التأثير على المفكرين العرب، بعد أن كانت المرجعية الفلسفية تعتمد على العقل والدين أصبحت اليوم تعتمد على العقل والتجربة، حيث سيطرت المرجعية العقلية على الفلسفة الفرنسية والألمانية، والمرجعية التجريبية على الفلسفة الإنجليزية، هذا التغيير في المرجعية كان له تأثيره البارز على الفكر الفلسفي الأخلاقي. وإذا أردنا التعرف على ما جاء به هذا الفكر، سوف نتعرض على الأقل لنموذجين في الفلسفة الحديثة أحدهما يمثل المرجعية التجريبية والآخر يمثل المرجعية العقلانية.

### - دافيد هيوم:

المعروف على دافيد هيوم أنه أحد أقطاب المرجعية التجريبية، سنحاول أن نعرض آراءه في الأخلاق، والأسس ومصادر القيم الأخلاقية عنده.

إن مصدر الأخلاق عند هيوم هو العاطفة وليس العقل، حيث يرى أن "العقل هو عبد للعواطف وينبغي أن يكون كذلك ولا يمكن أن يدعي على الإطلاق وظيفة أخرى غير خدمتها وطاعتها"<sup>2</sup>، أما ما

<sup>1</sup> - مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001، ص 07.

<sup>2</sup> - أحمد محمد سيد، الأخلاق عند هيوم، دار النشر والثقافة والتوزيع، 1992، ص 54.

يعنيه ويقصده من العاطفة هو " أن الأحكام الأخلاقية لا تأتي من المنطق وإنما من العاطفة التي هي مصدر الأخلاق والمعرفة. فالعاطفة هي التي تقرر أن هذا الشيء جميل أو حسن، ثم يأتي العقل فيما بعد ليبرهن... أما هو وحده (العقل) فلا يقيم الأشياء أخلاقيا بوصفها جيدة أو سيئة. وإنما يرتب الحقائق ليقرر كيف يحقق ما تكشف العاطفة أنه جيد."<sup>1</sup> اعتمد هيوم في بناء نظريته عن الأخلاقيات على الخبرة، رافضاً كل الآراء القائلة باستطاعة العقل التمييز بين الفضيلة والرذيلة. وأن الميزات الفاضلة عند الناس هي تلك التي كانت سائغة أو نافعة لهم. كان هيوم يزعم أن الناس جميعاً يملكون عاطفة الخيرية؛ ومعناها الرغبة الطيبة، وأن هذه العاطفة كانت أساس الأحكام الأخلاقية. رغم كل هذا يمكن اعتبار هيوم هو من وضع الأسس الأولى للمذهب الأخلاقي النفعي الإنجليزي، الذي طوره فيما بعد جيرمي بنتام وستيوارت مل.

#### - إيمانويل كانط:

يعتبر مشروع كانط الأخلاقي من أهم المشاريع في الفلسفة الحديثة، حيث هيمنت فلسفته على الفكر الأخلاقي العربي والغربي، لقد ألف كانط في هذا المجال ثلاث كتب أساسية هي: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، نقد العقل العملي، وميتافيزيقا الأخلاق. "حاول كانط في كتابه نقد العقل الخالص أن يظهر أن قوانين العلم بأنها قوانين مفروضة من جانب العقل على موضوعات الإدراك الحسي، ويمكن معرفة هذه القوانين بصورة يقينية خلال التأمل في بنية المعرفة الأولية، وقد طبق التحليل نفسه في كتابه نقد العقل العملي في مجال الأخلاق واضعاً بذلك نوعاً من الأخلاق على القوانين الأولية التي ينتظم بها الفعل عن طريق العقل العملي"<sup>2</sup>.

1- أحمد الفراك: مفهوم العاطفة في فلسفة دفيد هيوم، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، <http://diae.net/22877>

2- محمد مهران تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، القاهرة، دار قباء، 1998، ص 155.

لقد وضع كانط قواعد أساسية للأخلاق في صورة أوامر مطلقة، حيث يرى أن الفعل الأخلاقي الحقيقي ليس مشروطا بغاية معينة وإنما هو فعل مطلق لا يرتبط بأية وسيلة ولا غاية، وإنما يربط بين الإرادة والقانون الكلي وفيما يلي القواعد التي وضعها كانط:

1 - افعل كما لو كانت قاعدة فعلك يجب أن تقيمها إرادتك قانونا كليا للطبيعة.<sup>1</sup>

2 - افعل بحيث تعامل الإنسانية، في شخصك وفي شخص سواك، دائما وفي نفس الوقت، وليس أبدا على أنها مجرد وسيلة.<sup>2</sup>

غير أن نظرية كانط الأخلاقية تعرضت للانتقادات، كانت معظمها حول نظريته عن الواجب الذي قصد به ضرورة أداء الفعل احتراما للقانون الأخلاقي وعرفه "هو القانون الذي يقول إن الفاعل الأخلاقي يتصرف أخلاقيا إذا سيطر العقل على كل ميوله"<sup>3</sup>، إذ كيف يمكن لنظرية أخلاقية أن تستبعد ميول الإنسان وعواطفه، مع أن التجربة تعلمنا أن السلوك الذي ينبع من الوجدان كثيرا ما يكون أنبل من سلوك يصدر عن العقل.

### 3- الأخلاق بين الفكر الإسلامي وتيار الفلسفة الحديثة المعاصرة:

إن تتبع دراسة تاريخ القيم الأخلاقية عند المفكرين المسلمين والغربيين في العصر الحديث والمعاصر، يبرز مدى تأثر المفكرين العرب بالتراث الفكري الغربي، حيث نجد منهم من استلهم معالم الفكر الأخلاقي من التراث الإسلامي، وهذا التيار يطلق عليه تيار الأصالة، والتيار الثاني الذي استلهم أفكاره من الفكر الغربي الحديث والمعاصر الذي أفضى الوحي واعتمد العقل والتجربة وهو ما يسمى بتيار المعاصرة، وتيار آخر حاول التوفيق بين المنهجين.

1- عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج1، ص2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص 283.

2- المرجع نفسه، ص 284.

3- المرجع نفسه، ص 282.



إن الأخلاق في المفهوم الإسلامي هي جوهر الدين ولا انفصال بينهما، ولكن يا ترى لو رجعنا للفلسفة الغربية على أي أساس درست الأخلاق وهل كان لها علاقة بالدين؟

- **المذهب الاجتماعي:** الذي يرى أنه: "لا وجود للأخلاق من دون المجتمع، ولذلك فلا بد من إتباع المجتمع في الأخلاق، لأنه هو الذي يحدد لنا الحسن والقيح من الأعمال"<sup>1</sup>. ما يفند قولهم، لو رجعنا لتاريخ البشرية لرأينا مصلحين كبار في مسيرة الحضارة الإنسانية خالفوا الكثير من الأعراف والقيم والأخلاق والعادات وقادوا شعوبهم إلى قواعد أخلاقية مختلفة. فإذا هم قد ألغو دور الفرد وتجاهلوا دوره في المجتمع.

- **مذهب المنفعة:** الذي تعود جذوره إلى الأبيقوريين اليونان<sup>2</sup> حيث اتفق مع سلفه الفيلسوف اليوناني ارسطيس الذي يرى أن الغريزة هي المحرك الأول لأفعال الإنسان وجعل من اللذة والألم مقياس خيرية الأفعال وشريتها، غير أن أبيقور اختلف معه في ضرورة الابتعاد عن اللذات التي يصاحبها الألم لأنها تعيق تحقيق السعادة، إلا أنه في العصر الحديث تم إدخال الفكر عليها لتنظيمها فكان بمثابة "أن يكون مجرد تصحيح عقلي لفلسفة اللذة"<sup>3</sup>، فالمعيار في كون العمل خيرا أو شرا، من وجهة نظر أخلاقية نظر أخلاقية، يتمثل في كونه محققا لمنفعة المجتمع أو غير محقق لها<sup>4</sup>. غير أن أصحاب هذا المذهب اختلفوا حول ما إذا كانت السعادة الحقيقية تكمن في المنفعة الشخصية رواده الأبيقوريين وهوبز، أو في المنفعة العامة.

- **المذهب العاطفي:** يربط الأخلاق بالعاطفة الإنسانية، وهم أتباع المذهب العاطفي الذين يرون أن الأعمال الأخلاقية هي التي تحركها عاطفة المحبة نحو الآخرين ومشاركتهم آلامهم وأفراحهم. أما الأعمال

1- مجتبي مصباح، فلسفة الأخلاق، دراسة مقارنة بين المذاهب الأخلاقية، تعريف محمد حسن زراقات، معهد الرسول الأكرم العالي للشريعة والدراسات الإسلامية، 1423هـ، 2002م، م.س، ص ص 54-55.

2- مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 59.

3- زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر بالفجالة 1969م، ص 138.

4- مجتبي مصباح، فلسفة الأخلاق، دراسة مقارنة بين المذاهب الأخلاقية، ص 68.

التي تحركها المنفعة الأنانية وحب الذات فهي أعمال غير أخلاقية<sup>1</sup>. فهم زعموا أن أعمال الإنسان الهادفة إلى تأمين منفعه الشخصية خارجة عن إطار الأخلاق، وأن أعمال التعاطف مع الآخرين فقط هي الأعمال الأخلاقية دون سواها.

**مذهب القوة:** يجعل القوة معياراً للأخلاق والفضائل الإسلامية، دعا إليه الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه الذي زعم أن القوة والسلطة هما منشأ كل الصفات الحسنة في الإنسان. وقد صنف الأخلاق إلى صنفين: أخلاق السادة وهم الأقوياء، وأخلاق العبيد وهم الضعفاء. وكل ما ينشأ عن الشعور بالسلطة والقوة هو خير، وكل ما ينشأ عن الضعف فهو شر: ولذلك ينبغي التخلص من العاجزين والمرضى بإعدامهم. وقد كانت أفكار نيتشه بمثابة تمهيد لنشوء الحركات العنصرية في أوروبا مثل النازية والفاشية.<sup>2</sup> غير أنهم جعلوا السلطة معياراً للأخلاق، واعتبروا نصرة الضعيف شراً، والظلم الصادر عن القوي خيراً! إلا أنه يخالف التفكير المنطقي السليم.

من خلال هذا العرض الغير مسترسل لآراء بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة في الأخلاق، التي فصلت الأخلاق عن الدين وربطتها بتفسيرات وضعية، عكس تعاليم الإسلام التي تضمنت أفكاراً تعبر عن الكثير مما ورد في آراء الفلاسفة والمفكرين الغرب، لكنها لا تتطرف إلى مذهب ولا تجنح إلى الإفراط ولا تقع في التفريط، من بين الأمثلة التي تظهر عجز المذاهب السابقة أن القرآن احتوى على آيات تحث على التعاون وتحقيق المنفعة العامة والخاصة، أيضاً دعوة الإسلام لتحقيق المنفعة الشخصية طالما أنه لا يتعدى على حقوق الآخرين أو يلحق الضرر بهم، مع العلم أن تحقيق المنفعة الشخصية لا يتعارض مع الإحسان إلى الآخرين ولا يجافي مكارم الأخلاق، خلافاً لما يزعمه أتباع المذهب العاطفي، كما حث الإسلام على القوة وحذر من إيذاء الصالحين والضعفاء، ولم يجعلها معياراً وحيداً للقيم كما زعم نيتشه.

1- من دعاة هذا المذهب الفلاسفة: الإنكليزي أدام سميث والألماني آرثر شوبنهاور والفرنسي أوغست كونت.

2- مجتبي مصباح، فلسفة الأخلاق، م.س، ص ص 76 - 77.

ومن الفلاسفة المسلمين الذين تأثروا بالفلسفات الأخرى في مجال الأخلاق نجد الفارابي حيث " إن الأخلاق عند كل من الفارابي وأرسطو علم عملي، أي أنه يقوم على ممارسة الأفعال الحمودة وإتباع القدوة الصالحة لاكتساب ملكة الأفعال الخلقية"<sup>1</sup>

بالتالي يمكن القول أن فلسفة الفارابي الأخلاقية تتفق في العديد من الأفكار مع فكر أفلاطون، بحيث تقصي اللذات الحسية، وتجعل من المعقولات هي اللذات السامية والمثالية، وإن كان هذا الموقف تقوى عند الفارابي من خلال ثقافته الإسلامية التي تدعو من ناحيتها إلى هذا الطرح، وتبذ اللذات الحسية.

#### 4- الأخلاق بين الفطرة والاكْتساب:

كثيرا ما طرحت أسئلة حول موروثية الأخلاق واكتسابها، غير أن الواقع يبين أن الأخلاق عملية مكتسبة وفطرية. على هذا الأساس اختلفت الآراء حول قابلية الأخلاق للتغير، فهناك من يرى أن الأخلاق ثابتة في الإنسان لا يمكن أن تتغير لأنها غرائز فطر عليها، وطباع جبل على التحلي بها، فلا يمكنه تغييرها، وهناك من يرى أن الأخلاق قابلة للتغير. من أبرز هذه المذاهب نجد:

- من يرى أن الأخلاق يمكن أن تتغير: هذا ما ذهب إليه الغزالي حيث يرى أن الأخلاق قابلة للتغيير بطريق الرياضة والتدريب والمجاهدة، فقال: "لو أن الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات"<sup>2</sup>، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وخالق الناس بخلق حسن"<sup>3</sup>

أيضا مسكويه فقد أشار إلى أن الخلق يمكن تغييره بالتأديب والمواعظ، ولكن الناس يتفاوتون في قبول الأخلاق الفاضلة وفي سرعة تعلمها، لكن الناس مختلفون في غرائزهم، فبعضهم جبلوا جبلة سريعة القبول، وبعضهم جبلوا جبلة بطيئة القبول، وبعضهم في الوسط. وخير دليل على قابلية الأخلاق للتغيير، شأن الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كانوا قبل الإسلام لهم طبائع سائر كثير من العرب، ممن

1- أبو ريان محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1986، ص 380.

2- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، 55/3، دار المعرفة، بيروت

3- رواه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشره الناس، 433/3.

يتصفون بالشدة والغلظة والقسوة، ولما دخلوا في الإسلام رقت طباعهم وحسنت أخلاقهم، بل أنهم أصبحوا مثالا يحتذى به في الإيثار والسماحة والحلم والكرم. بالتالي ما ذهب إليه الغزالي ومسكويه هو الأصل الذي تقوم عليه فلسفة التربية والتعليم والعلاج النفسي.

إن الأخلاق ليست مكتسبة على إطلاقها، كما أنها ليست موهوبة على إطلاقها، وإنما تتضافر فيها عدة عوامل تتمثل في الفطرة السليمة ودلالة العقل التام السوي في إدراكه وتقرير جانب من الأخلاق ثم يأتي دور الشرع ليكمل الفطرة ويحمي العقل، ويضع الضوابط العامة، التي ترقى بالفرد والمجتمع من الوجهة الخلقية وهذا ما ذهب إليه الفارابي بقوله: "أن الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة تكتسب بالدربة والممارسة، فإذا لم تكن للإنسان أخلاق محمودة فبوسعه أن يحصل عليها بالتعود على العمل الواحد مرات متعددة وفي أوقات متقاربة لمدة طويلة."<sup>1</sup>

على الرغم من تضافر دور كل من الفطرة والعقل يبقى ناقصا وقاصرا على تحقيق الكمال الإنساني المنشود، ليأتي دور الشرع ليكمل الفطرة ويقوم العقل ويرشد أحكامه، وبذلك تصبح معالم الشرع وتوجيهاته مع سلامة الفطرة وصحة النظر العقلي ركائز تتضافر في بناء الكمال الخلقي للإنسان، ليتبين لنا أن الأخلاق تنقسم إلى قسمين:

#### أ - الأخلاق الفطرية:

هناك أحاديث كثيرة دلت على أن من الأخلاق ما هو فطري، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"<sup>2</sup> وهذا

1- مرجعا محمد عبد الرحمن، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط3، ص 457.

2- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، 2031/4.

الحديث دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية ، وفيه يثبت الرسول أن خيار الناس في التكوين الفطري أكرمهم خلقا.

ويقول الراغب الأصفهاني: "الإنسان مفطور في أصل الخلقة على أن يصلح أفعاله وأخلاقه وعلى أن يفسدها، وميسر له أن يسلك طريق الخير والشر"<sup>1</sup>

### ب- الأخلاق المكتسبة:

فكما أن هناك أخلاق فطرية، كذلك بإمكان أي إنسان أن يكتسب بعض الفضائل والأخلاق، وذلك بالتربية المقترنة بالإرادة والقيم، والناس في ذلك متفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلم الفضائل كما أن كل إنسان عاقل يستطيع بما وهبه الله من استعداد عام أن يتعلم نسبة من العلوم، والفنون وأن يكتسب مقدارا ما من أي مهارة عملية من المهارات لكن في حدود الشريعة الإسلامية.

وفي هذا الإطار جاء على لسان خليل أحمد خليل: " ورأيت أن الذنب (أو الخطيئة) بالمعنى الإسلامي لا يصحح إلا بوعي روعي، بإصلاح السلوك وخصوصا بالتوبة والمغفرة والرحمة. ثم أدركت خطورة التخليط العقلي بين التكوين العلمي للمسلم وبين تكوينه الإيماني، الناشئ عن أعمال العلم التقني في مجال الإيمان الديني أو بالعكس ما يعني طغيان آليات التكنولوجيات على قيم إيديولوجيات الهوية."<sup>2</sup>

### 5- صلة الأخلاق بالدين في الفلسفة الغربية:

تباينت مواقف العلماء حول هذه النقطة لذا حصروها في ثلاث اتجاهات: تبعية الأخلاق للدين، تبعية الدين للأخلاق، استقلال كل واحد منهما عن الآخر<sup>3</sup>.

#### أ -تبعية الأخلاق للدين:

أشهر من تزعم هذا المذهب أوغسطين وتوما الاكويني وبنيني هذا الموقف على أصلين هما:

1- مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، مرجع سابق، ص 23.  
2- خليل أحمد خليل: اندهاشات المسلمين المعاصرين -تحديات العقلنة وغواية المكنتة- مجلة الاستغراب، خريف 2015، ص 66.  
3- طه عبد الرحمن: سؤال الأخلاق، ص 31.

## أولاً: الإيمان بالله

وهذا كون الفلسفة الموروثة عن اليونان بما تحمله من مفاهيم أخلاقية قد دخلت في الدين الكنسي النصراني حتى تقرر أنه لا أخلاق بغير إيمان وهذا الإيمان إنما هو يقين بوجود الإله متحصل من طريق القلب حتى صار مصطلح الإيمان قسيم لمصطلح العقل وصار التسليم بالمفهوم النصراني يتضمن عدم البرهان والاعتماد الكامل على العرفان وإذا كانت الأخلاق تعني برسم الحياة الطيبة فليس هناك أفضل من الدين ليقوم هذه الأخلاق حتى تتأسس عليه وهذا بسبب أن الدين لا يقوم إلا على الإيمان بإله قادر على كل شيء يعين المؤمن ليصل للحياة الكريمة. والإيمان بالله لا يزال يكبر في قلب المؤمن حتى يتحول إلى محبة، والمحبة لا تدوم إلا بالرجاء الذي هو مقتضى الفضل الإلهي.

وبناءً على هذا فهاننا ثلاثة خصال: الإيمان والمحبة والرجاء فالحبة متحصلة من الإيمان وتستمر بالرجاء وكل هذا لا يقوم إلا على الإيمان بالإله وقد جعل الأخلاقيون النصارى هذه الفضائل هي رأس الفضائل الدينية<sup>1</sup>

## ثانياً: إرادة الإله:

وكما تأسست الأخلاق على الدين من جهة الإيمان بالإله فإنها تأسست من جهة أخرى على إرادته حيث إن هذا الإله له إرادة حيث يأمر خلقه وينهاهم وعليهم بموجب الرغبة في إرضائه أن يستجيبوا لأوامره وينتهوا عن نواهيه وأهمها ما كتبه في الألواح لموسى عليه السلام وهي الوصايا العشر وتأسيس الأخلاق على الدين لأن الأخلاق استجابة لإرادته وأوامره وهي ما عرف بنظرية الأمر الإلهي للأخلاق.<sup>2</sup>

وقد اعتمد المعترضون على تبعية الأخلاق للدين وفق الإرادة الإلهية بالمقولة الكلامية المنتشرة في الفكر الكلامي والفلسفي وهي: هل الخير خير لأن الإله أمر به؟ والشر شر لأن الإله نهى عنه؟

1- المرجع السابق، ص 32.

2- المرجع السابق، ص 32.

فلو قلنا أن هذا الأمر فيه خير لأن الإله أمر به، هذا يستلزم أن يكون الخير خيرا ولو لم يدرك بالعقل، وإن قيل إنما كان خيرا لأنه عند العقل خير كان معنى هذا أن الأخلاق غير محتاجة للدين لأنها معلومة بالعقل.

### ب- تبعية الدين للأخلاق:

تبنى هذا الموقف الفيلسوف كانط حيث يؤسس الدين على الأخلاق وقد اعتمد على أن الأخلاق العملية والنسبية لا بد أن تستند إلى قيم مطلقة تمنع السيولة والنسبية السفسطية يقول: "إن من أشد الأمور ضرورة إعداد فلسفة أخلاقية خالصة نقية تماما من كل ما يمكن أن يكون تجريبيا ومن كل ما يتصل بعلم الإنسان - الأنتروبولوجيا-"<sup>1</sup>

الملاحظ على مشروع كانط أنه يصرح بضرورة استناد الأخلاق إلى أساس قبلي لا تشوبه العوامل الحسية التجريبية ولا يتأثر بعلم الإنسان الذي يشير من خلاله إلى النظريات العلمية التي من شأنها أن تلوث التفكير النقدي أو توجهه ثم قرر أن هذا يكون بإرجاع الأخلاق لأساسين: "مبدأ الإرادة الخيرة والعقل الخالص"<sup>2</sup>، ومن خلالهما يظهر أن الأخلاق لا تحتاج إلى أمر. وبما أن منظومة القيم - كما يراها كانط - منبعها الإنسان فقد تولدت حاجة قصوى إلى ربط إرادته "الطيبة" المتعلقة بأداء واجباته الأخلاقية بغاية كبرى تمكنه من إضفاء معنى كلي، هذا المعنى عبر عنه كانط في معنى قوله: إن الأخلاق تقود على نحو لا بد منه إلى الدين، وعبر ذلك هي تتوسع إلى حد مشروع خلقي تكمن في إرادته تلك الغاية النهائية لخلق العالم.

أما في الفلسفة الإسلامية فالأخلاق والدين مترابطان لا انفصال بينهما، هناك من يفهم الدين بأنه أداء العبادات المجردة من سائر القيم الدينية، فقد أفرغ الدين من مضمونه وأساء فهم

1- تأسيس ميثافيزيقيا الأخلاق لكانط، ص 8.

2- الأسس المنهجية لنقد الأديان، ص 866.

رسالته. وتبقى محاسن الأخلاق هي المعيار الأساسي الذي يتفاضل به الناس في دنياهم وأخراهم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله "خياركم أحاسنكم أخلاقاً"<sup>1</sup> وقال: "ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء"<sup>2</sup>

### خاتمة:

إن القيم الأخلاقية في المفهوم الإسلامي تنبع من الوحي الإلهي، اقتضت حكمة الله أن جعل الإنسان خليفة في الأرض لذا كان لا بد من تزويده بأصول وقواعد أخلاقية لتربية الأنفس وتهيئتها لتكون قادرة على قيادة الأفراد والمجتمعات إلى صلاح الدين والدنيا. وهذا يتجلى في تكامل العقيدة والعمل، بالتالي فالتدين ليس غاية في ذاته وإنما هو وسيلة لبلوغ محاسن الأخلاق التي هي المعيار الأساسي الذي يتفاضل به الناس في دنياهم وأخرتهم، متخذين القرآن الكريم والسنة النبوية مرجعية أساسية في توجيه أخلاقهم.

على عكس المذاهب الفلسفية الغربية الحديثة والمعاصرة التي درس فلاسفتها الأخلاق كل بدوره ببناء قواعد قائمة على مبدأ وحيد فهو إما مبدأ السعادة، اللذة، المنفعة، العقل ... ما أدى إلى ظهور عدة تيارات ومذاهب. كل هذا أدى إلى حشر القيم وعزلها وما عاد يفكر فيها كقيمة يبني علي مقتضاها.

### قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- السنة النبوية
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين: 3/55، دار المعرفة، بيروت .

1- مصطفى طلاس: المصطفى في أحاديث المصطفى، وفي رواية صالح الأخلاق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1997، باب الأخلاق، ص 519، والحديث من رواية عبد الله بن عمرو، رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن حبان.

2- المصدر نفسه، ص 543، والحديث مروى عن أبي الدرداء، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان.



- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، 2031/4.
- أبو ريان محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1986.
- أحمد محمد سيد، الأخلاق عند هيوم، دار النشر والثقافة والتوزيع، 1992.
- أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1992.
- الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، بيروت، 1319.
- عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج1، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.
- محمد مهران تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، القاهرة، دار قباء، 1998.
- مرحبا محمد عبد الرحمن، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط3.
- مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001.
- مصطفى طلاس: المصطفى في أحاديث المصطفى، وفي رواية صالح الأخلاق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1997، باب الأخلاق.
- موزه، راشد العبار: القيم الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والغربي في عصر العولمة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الجيزة، ط1، 2008.
- يوسف موسى محمد تاريخ الأخلاق، مطابع دار الكتاب، مصر، ط3، 1953.
- مجلة الاستغراب، دورية فكرية تعنى بدراسة الغرب وفهمه معرفياً، تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، مكتب بيروت، العدد 1، السنة الأولى، خريف 2015.
- أحمد الفراك: مفهوم العاطفة في فلسفة دفيد هيوم، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات،

<http://diae.net/22877>

